

قراءة في جوانب من العمران القديم لقصر تمنطيط من خلال مخطوط القول البسيط في أخبار تمنطيط للشيخ محمد الطيب بن الحاج عبد الرحيم المشهور (بابن بابا حيدة)

أ/ محمد بن سويسي

جامعة أدرار

الملخص: يعد مخطوط القول البسيط في أخبار تمنطيط من المصنفات النادرة التي تناولت جوانب من التاريخ الاجتماعي والاقتصادي والثقافي والعمراني لقصر تمنطيط. كما أباتت صفحات المخطوط عن معلومات قيمة عن تاريخ تمنطيط، واستقرار القبائل فيها، وتعمير المكان، وكيف شيدت القصور، وتطورها؛ في فترة تاريخية مهمة من تاريخ منطقة توات.

لقد جاء مخطوط القول البسيط في أخبار تمنطيط بمثابة شهادة حية من مؤلفه عن الأوضاع في تمنطيط في عصره بحيث هدف من خلاله تسليط الضوء على ما آلت إليه بلدته تمنطيط من أوضاع.

وستنظر هذه الورقة البحثية في ظروف الاستقرار البشري وتعمير المكان وتتبع المظاهر العمرانية التي ميزت قصر تمنطيط وسيرورت الحركة العمرانية وخصائصها من خلال قراءة في نص المخطوط.

Résumé:

Le manuscrit "Al kaol albassit " est l'un des rares ouvrages qui traitent divers aspects de l'histoire sociale, économique, culturelle et urbaine du Ksar de Tamentit. IL traite entre ces pages de précieuses informations sur l'histoire du Ksar de Tamentit et le rôle des différentes tribus dans la reconstruction du lieu et de son développement dans une période importante de l'histoire de la région du Touat.

On peut dire aussi que le manuscrit "Al kaol albassit " est un vif témoignage de l'auteur sur la situation du Ksar de Tamentit en son temps, a fin de mettre l'aspect civilisationnel de sa ville natal.

Ce document examine les conditions du peuplement humaine du ksar de Tamentit et les différents étapes de la reconstruction de lieu et de suivre les manifestations omranique qui caractérisent Tamentit a travers une lecture du texte du Manuscrit.

مقدمة:

اشتملت ولاية ادرار "اقليم توات" تاريخيا على مخزون كبير من المخطوطات تنوعت مضامينها بين موضوعات العلوم الشرعية والنقلية والأخبار التاريخية والوصف للحياة الاجتماعية والثقافية والعلمية بالإضافة إلى مخطوطات تضمنت وصف التراث العمراني للقصور.

ويعد مخطوط القول البسيط في أخبار تمنطيط من مصنفات هذا المجال المعرفي الأخير إذ يعد من المخطوطات القليلة النادرة التي تناولت جوانب من التاريخ الاجتماعي والاقتصادي والثقافي والعمراني لقصر تمنطيط. كما بينت صفحات المخطوط معلومات قيمة عن تاريخ تمنطيط واستقرار القبائل فيها وتعمير المكان وكيف شُيدت القصور وتطورت في فترة تاريخية مهمة من تاريخ منطقة توات.

ومما زاد من أهمية هذا المخطوط هو تأليفه في تمنطيط التي كانت في ما مضى عاصمة منطقة توات كلها، والتي شهدت ازدهارا في مختلف المجالات بفضل موقعها الاستراتيجي الذي يتوسط طريق القصور بين مدن الشمال والجنوب، كما أنها تعتبر من اقدم القصور التي انشأت في المنطقة ولذلك لقيت اهتمام الجغرافيين والمؤرخين منذ فترة قديمة وعلى رأسهم العلامة عبد الرحمان ابن خلدون الذي بين أهميتها التاريخية والعمرانية في الصحراء فيقول: "وأخرها من جانب الشرق يسمى تمنطيط، وهو بلد مستبحر في العمران وهو ركاب التجار المترددين من الغرب إلى بلد مالي من السودان لهذا العهد ومن بلد مالي إليه"¹.

¹. عبد الرحمان ابن خلدون، العبر وديوان المبتدأ والخبر، المجلد السابع، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1981، ص118

لقد جاء مخطوط القول البسيط في أخبار تمنطيط بمثابة شهادة حية من مؤلفه عن الأوضاع في تمنطيط في عصره بحيث هدف من خلاله تسليط الضوء على ما آلت اليه بلدته تمنطيط من أوضاع.

واعتبارا إلى كل ما أثاره هذا المخطوط من قضايا تاريخية وحضارية، فإن منها ما شد انتباهنا خاصة التاريخ القديم لتمنطيط ونشأة قصورها وتطور عمرانها، فحاولنا من خلال هذه الورقة البحثية مناقشة ما هي ظروف الاستقرار البشري؟ وكيف عُمر المكان؟ وما هي المظاهر العمرانية التي ميزت قصر تمنطيط؟ وكيف تطورت الحركة العمرانية؟

وللإجابة على مجموع هذه التساؤلات قسمنا هذه الدراسة إلى العناصر التالية:

- مقدمة
- أولا: التعريف بالمخطوط ومؤلفه وعصره ومكانه
- ثانيا: قراءة في تعمير تمنطيط وعمرانها القديم من خلال نص مخطوط البسيط
- خاتمة

أولا: التعريف بالمخطوط ومؤلفه وعصره

1- التعريف بالمخطوط وأهميته:

المخطوط بسيط في حجمه ومضمونه فعدد صفحاته لا تتجاوز العشر ولكن مضمونه متنوع وفيه أحداث وأوصاف كثيرة عن وإقليم توات ومدينة تمنطيط خاصة وأهميتهما العمرانية والاجتماعية والاقتصادية كما انه غني بالمعلومات عن تاريخ قصور تمنطيط (الشكل 1). فهو من المؤلفات النادرة التي تزخر بالمعلومات التاريخية وجوانب من مظاهر الحياة الاجتماعية والعمرانية عن قصور الصحراء.

وقد أراد مؤلفه أن يجمع فيه بعض الأخبار عن قصر تمنطيط إذ يقول: "أردت أن أجمع فيه بعض أخبار تمنطيط على ما بلغني من ذلك وعلى ما فهمته من آثار ما هناك وعلى ما سمعت الناس يتحدثون به وظننت أنه كذلك وسميته بالبسيط في أخبار تمنطيط"¹.

ولدراسة نص هذا المخطوط اطلعت على نسختين، الأولى هي التي حققها فرج محمود فرج ونشرها مكمل في أطروحته عن إقليم توات خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر الميلاديين. وأما النسخة الثانية فهي موجودة بخزانة كوسام وناسخها هو الشيخ الطيب الشاري وهي أكمل وأكثر وضوحاً.

اسم المخطوط: القول البسيط في أخبار تمنطيط

المؤلف: محمد الطيب بن الحاج عبد الرحيم المشهور بابن بابا حيدة

الناسخ: الشيخ الشاري الطيب

عدد الأوراق: يبلغ عدد 10 أوراق في نسخة باريس التي حققها فرج محمود فرج وأما نسخة خزانة كوسام فتبلغ أوراقها 19 ورقة.

بداية المخطوط: بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد هذا تأليف البسيط في خبر تمنطيط وخبر ما وقع في الزمان وما اشتملت عليه من المكان للعالم العلامة السيد محمد الطيب بن الحاج عبد الرحيم لطف الله به آمين الحمد لله الذي جعل الناس شعوباً وقبائل ليتعارفوا....

نهاية المخطوط:....اتم واكمل. والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات بحسن عونه وتوفيقه الجميل نقلها لنفسه ثم لمن شاء الله من بعده من يأتي اسمه عقب تاريخه من خط الطالب لحبيب بن محمد بن عبد السلام

¹. محمد الطيب عبد الرحيم، القول البسيط في أخبار تمنطيط، نسخة كوسام للشيخ شاري الطيب، ص2

بن الجزولي وبتاريخ النقالة المذكورة أواسط شوال سنة خمسة وتسعين وثلاثماية وألف عبد ربه تعالى أبومدين بن محمد الصديق ونقلها بعده الطيب بن عبد الله بن سالم البلبالي لطف الله به امين.

2- المؤلف:

مؤلف المخطوط هو محمد الطيب بن الحاج عبد الرحيم التواتي القرشي التمنطيبي¹، المشهور باسم ابن بابا حيدة من فقهاء توات في القرن التاسع، ولد في صفر من عام 1184 هـ بتمنطيط، ينحدر أصله من عائلة اولاد يحي من قبيلة منيارة بالمغرب التي تنتسب إلى قبيلة قريش². وقد عاش الطيب عبد الرحيم في تمنطيط عندما برزت ومارستدورا مؤثرا في الأحداث السياسية والاجتماعية والاقتصادية لمنطقة توات منذ مطلع القرن الثامن الهجري، وذلك بعد ازدياد النشاط الديني والفكري والعلمي، نتيجة الحركية التي خلقها نخبة من العلماء والشيوخ وطلبة العلم الذين وصلوا من كافة الأقطار العربية والإسلامية والذين أسهموا في تأسيس مدارس وزوايا، ونشروا تعاليم الإسلام السمعاء ودرّسوا مختلف العلوم. كان جده الأول أبي يحيى بن محمد المنباري عالما وفقهيا من رجال القرن التاسع الهجري، هاجر من شمال المغرب الاقصى إلى توات عام 815هـ واستقر بتمنطيط. وهو أول من بنى قصره بها ثم تولى قضاء الجماعة

¹. المهدي البوعبدلي ، الشيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي ، "اعمال المهرجان الثقافي الاول للتعريف بتاريخ منطقة توات، ولاية ادرار 13-14 شعبان 1405هـ 03-04 ماي 1985م"، تحت اشراف المركز الوطني للدراسات التاريخية، ص65

². فرج محمود فرج، تحقيق مخطوط القول البسيط في أخبار تمنطيط، مكمل لاطروحة دكتوراه الدرجة الثالثة في التاريخ تحت عنوان اقليم توات خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر الميلاديين ، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1977م، ص6

التواتية¹. كما يذكر في ترجمته في مخطوط البسيط أن جده كان مسبقا ببعض أقاربه الذين سكنوا خارج المدينة وقصرهم يعرف بتجعفرت وبنو منيار أصلهم من منطقة وهران².

وبعد أن أتم تعليمه أصبح من فقهاء تمنطيط حمل شعلة العلم التي توارثها أفراد عائلته وأصبح بعد ذلك من أتباع الزاوية الوزانية.

وقد عاش الطيب عبد الرحيم في مدينة تمنطيط التي أخذت تستعيد مكانتها السياسية والاقتصادية قبل أن تنتقل منها إلى أدرار أكبر مدن مقاطعة تيمي حينما كانت تقطنها عائلة أولاد أحمد وهي من أكبر قبائل توات نفوذا في ذلك الوقت. وقد ألف الشيخ الطيب عبد الرحيم هذا الكتاب حتى يعيد إلى الأذهان ما كانت عليه مدينته قبل الألف الثاني الهجري³.

3- التعريف بحاضرة تمنطيط:

يقول محمد الطيب بن الحاج عبد الرحيم في البسيط إن لفظ تمنطيط كلمة عجمية مركبة من لفظين وهما "اتما" ومعناها النهاية و"تط" وتعني العين فتركب الاسمان وحذف الالف في آخر اتما وفي اول "تط" فكان الاسم على ذلك التركيب الخفيف اتمطيط ثم قلبت التاء اتمنطيط بأشباع ياء فصارت تمنطيط⁴. ويقول أيضا بخصوص تسميتها: " وأخبرني من أثق به أن ابن خلدون ذكرها وقال: يقال تنط واتما انتط، والمشهور الآن

¹. فرج محمود فرج، المرجع السابق، ص6

². المهدي البوعبدلي، المرجع السابق، ص65

³. فرج محمود فرج، المرجع السابق الذكر، ص7

⁴. نفسه، ص6

ما ذكرناه، وسمى من قصورها (اغلاد) وهو الآن مندرس لا اثر له سوى اسمه¹.

تقع تمنطيط في الجهة الجنوبية الشرقية لمدينة ادرار على بعد حوالي 12 كلم، تحاذي السبخة المترامية الأطراف وإلى الجنوب الغربي منها بحوالي 35 كلم يوجد واد مسعود. وقد شيد القصر على انحدار صخري يمتد من الشمال الغربي إلى الجنوب الشرقي وفي آخره تتواجد واحات النخيل².

كما تعد تمنطيط من بين البلديات المهمة والفتية في ولاية ادرار، ظهرت بعد التقسيم الاداري الذي يعود لسنة 1982م، وتحيطها البلديات التالية في الجهة الشمالية بلديات أدرار وسبع ومن الجنوب بلدية فنوغيل ومن الشرق اوقروت وتمقطن ومن الغرب بلدية بودة. وتشتمل أيضا على سبعة قصور كبيرة هي، اولاد الحاج المامون، انكير وبالحاج وبوفادي وتوكي وبنكور ونومناس³.

أخذت هذه المدينة الصحراوية مكان الريادة كعاصمة سياسية وحاضرة خلال القرن التاسع الهجري الخامس عشر ميلادي بعد أن شهدت ازدهارا في الحياة الثقافية والعلمية وأصبحت مركز إشعاع وتبادل مع مدن وحواضر في الجنوب والشمال كمدينة تلمسان⁴. وقد أحسن وصفها محمد الطيب عبد الرحيم في البسيط عندما يقول: " إنها قاعدة اجتمع فيها العلم

¹. محمد الطيب بن الحاج عبد الرحيم، المرجع السابق، ص5

²Vallet، J، Oasis du Sahara Algérien ، Tamentit، InstitutGéographique National: Paris، 1973، p64

³. محمد باي بلعالم، الرحلة العلية إلى منطقة توات، ج 1، دار هومة، 2005، ص12

⁴. شترة، خير الدين، الشيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي التلمساني المصلح الثائر وفكره الاصلاحى في توات والسودان الغربى، ج2، دت، ص281

والإمارة والديانة والرياسة وانتصبت بها الصناعات والتجارات والبضائع وكاد أن لا يستغني عنها غني ولا زاهد لما فيها من الدين والبركات والمنافع والحاجات...¹.

وبفضل الحركية الاقتصادية الممتازة لتنظيم ودورها الرابط بين قوافل الحجاج والتجار في غدوهم ورواحهم بين المغرب والمشرق وبين تلمسان والسودان أصبحت محل اهتمام وتقدير لعدد من الكتاب القدامى كالشيخ مولاي أحمد الطاهيري الذي يقول في مخطوط نسيم النفحات: "جملة قصور توات بل من أعظمها وأقدمها القصر المسمى بتنظيم وكان في القديم معقلا لليهود ولما اجلى الله اليهود عن ارض توات صار مركزا واشعاعا للعلم والمعرفة واقتباس الهدى والفصل بين الناس بالحق والعدل عندما استقر به اولاد الولي الصالح والخطب الفاتح سيدي محمد البكري..²".

ثانيا: قراءة في تعمير تنظيم وعمرانها القديم من خلال نص مخطوط البسيط

1- تأسيس وتعمير تنظيم:

يجدر بنا أن نشير في البداية إلى أنه لإدراك حقيقة التركيب العمراني لقصر تنظيم يتوجب أن نتعرف على التركيب الاجتماعية ومراحل الاستقرار البشري والقبائل التي حطت رحالها بها خلال مراحل زمنية طويلة متباعدة، وهذا في الحقيقة ما قد أشار إليه مخطوط البسيط، عندما حدثنا

¹. محمد الطيب عبد الرحيم، القول البسيط في أخبار تنظيم، نسخة كوسام للشيخ شاري الطيب، ص3

². أحمد الطاهيري، نسيم النفحات في ذكر جوانب من أخبار توات ومن دفن فيها من الاولياء والصالحين، نسخة موجود بزاوية تاسفاوت، ص199

عن تأسيس القصور والقصبات ووصول بعض القبائل العربية والأمازيغية التي توافدت عليه تباعا حيث يذكر أن عددا كبيرا من هذه القبائل والعائلات وصلت إلى تمنطيط منذ زمن قديم وفي فترات مختلفة، وهي التي أسهمت في تشكيل المجتمع.

يتشكل النسيج العمراني لـ تمنطيط من مجموعة قصور وقصبات وأحياء سكنية متلاصقة ومتراصة وما يميزه هو وجود تجمعين كبيرين الأول الذي يتألف من قصبات اغمر اقبور وتوفاغي وأولاد اعلي بن موسى وبوصلح. والتجمع الثاني المسمى: أولاد سيدي واعلي يضم كل من اولاد اهمالي وتايلوت وأولاد امحمد ويعقوب وأولاد ميمون. وهذان التجمعان يتشكلان من تتابع خطي للقصبات والأحياء المرتبطة بالأزقة الضيقة والرحبات وهذا ما أشار اليه صاحب البسيط: "وهي متصلة البنيان في قصور غير متباعدة السيسان بل متلاصقة العمران في خط جرم فسخ أو قريب منه وحولها أصول وبساتين مأوها فقاير جارية..¹ ويضيف في موضع آخر يقول: " إن قصورها عددها ثلاثمائة وستة وستون قصرا يستضاف فيها الضيف سنة كل يوم في قصر"².

وأما في فصل أول من نزل بها وبني بها القصر الأول فيقول: "فصل في أول من نزل وبنا بها القصر الأول يقال لهم اللمتون أولاد المالك يوسف بن تجفيت حين انكسرت شوكتة بالمغرب والأندلس على يد العبيدين وفارين إلى أن بلغوا أرض توات..³ ويقصد بحديثه هنا أول من نزل وبني قصر تايلوت الذي يقع في الجهة الشرقية بين اولاد اهمالي وأولاد

¹. محمد الطيب بن الحاج عبد الرحيم، المرجع السابق، ص4

². نفسه، ص4

³. نفسه، ص6

يعقوب فقد بني فوق مرتفع صخري، وكان إنشاء القصر والجامع العتيق من طرف قبائل مرابطية من أحفاد يوسف بن تاشفين الذين حطوا الرحال في منطقة توات بعد انكسار دولتهم على يد الدولة الموحدية.

وتأخذ قصبة تايلوت شكلا دائريا يحيطها سور عالٍ وتحتوي بداخلها على مجموعة من المساكن والجامع والمسجد العتيق الذي يعدّ من أقدم المساجد التي بنيت في القصر إذ يعرف عند أهل القصر بالجامع العتيق، وقد اندثرت أجزاء كبيرة منه بسبب تأثير عوامل المناخ.

كما يذكر في موضع آخر من المخطوط قبيلة اولاد امحمد قائلا: "وتليهم قبيلة اولاد محمد بالفتح وقيل ان اصلهم براير..."¹. ويعني بحديثه قبائل اولاد امحمد التي استقرت في القصر منذ سنة 1503م². وشيدوا القصبة التي تحمل اسمهم الموجودة في الوقت الراهن في الجهة الشمالية الشرقية من القصر ولا يفصلها عن المسجد والزاوية البكرية إلى الشارع لها تخطيط مربع يحيطها سور عال وفي زواياها أبراج مربعة ويمكن تمييزها من خلال الصور الجوية بسهولة عن باقي النسيج العمراني لتمدنيط، كما أن لها مدخلا واحدا وفي الداخل تتألف من مجموعة من المساكن الطينية (انظر الشكل 4).

ويواصل محمد الطيب بن الحاج عبد الرحيم حديثه عن بعض القبائل التي نزلت بتمدنيط فيقول: "وتليهم قبائل نسلام قيل أولهم قصر اولاد ميمون وآخرهم اولاد اسماعيل قبل قبائلهم سبعة... إلا رجل واحد من اولاد ميمون وقصورهم كلها خالية لم يبق إلا آثارها سوى قصر اولاد

¹. محمد الطيب عبد الرحيم، المرجع السابق، ص3

². Villages désertiques et structures agraires ، J. C ، Echallier. p52 ، 1972 ، Paris ، anciennes

ميمون...¹. فهنا يتحدث عن قبيلتين هما اولاد نسلام واولاد ميمون وهما من القبائل القديمة التي استوطنت تمنظيط.

فأما القبيلة الأولى فلم يبق لها أي أثر معماري يذكر، وأما القبيلة الثانية اولاد ميمون فيشير إلى وجود أطلال القصر الذي غمرته الرمال ويمكن تميز مسجدها وبعض المعالم من السور الخارجي وعلى ما يبدو كانت مربعة التخطيط وفيها أبراج في الزوايا.

وتجدر الإشارة إلى أن اولاد ميمون كانت محل معاينة من طرف الباحث "هيوغو Hugo" في سنة 1953 وقد عثر بين الاطلال على شاهد قبر² عليه كتابة. غير أنه لم يمدنا بتفاصيل كبيرة عن فحوى الكتابة الموجودة عليه.

ثم ينتقل للكلام عن قصر آخر مهم فيقول: "ومن القبائل الاوائل اولاد اهمالي حذوا اولاد يعقوب وقد انجل امرهم ونسبهم وحالهم ولم يبق الاسم قصرهم واسمهم وقد كان قصرهم الان بيد الحرثانيين..³. فنستخلص من حديثه أن قبائل أولاد اهمالي استقروا في المكان وأسسوا اولاد اهمالي التي أخذت اسمهم وكان ذلك خلال القرن السادس عشر الميلادي.

وفي الواقع يمكن الوقوف اليوم على آثارها حيث نجد القصبية التي تأخذ شكلا دائريا يحيطها سور يتخذ أطراف الهضبة الصخرية حدودا له، ولا يوجد فيها أبراج وأما المسجد فيقع في مدخلها مباشرة في الركن الجنوبي الشرقي (انظر الشكل 2)، ويعد هذا المسجد من أقدم معالم تمنظيط،

¹. محمد الطيب عبد الرحيم، المرجع السابق، ص8

². Echallier, J. C ، Op.Cit ، p52

³. محمد الطيب عبد الرحيم، القول البسيط في أخبار تمنظيط، نسخة كوسام للشيخ شاري الطيب، ص10

فقد ذكر الباحث "مارتان الفرد" أنه عثر في محراب المسجد على كتابة قديمة دونت فيها سنة 517م¹، ومن رأي هذا الباحث أن المسجد بني على أنقاض كنيس لليهود عندما كانوا يقيمون في تمنطيط قبل خروجهم منها على يد الشيخ المغيلي. والواقع ان هذه الكتابة غير موجودة حاليا في المكان وأن كل هذه المعطيات تحتاج إلى البحث والتقصي.

وأما بالنسبة لأولاد يعقوب فهم قبائل استقرت في القصبة التي تجاور قصبة اولاد اهمالي ويقول إنها بنيت في نفس الوقت الذي شيدت فيه قصبة تايلوت وكانت تسمى "باتعال يوسف" وموقعها في الجهة الجنوب وندخل اليه من زنقة تسمى زقاق الجنة وفي نهايته يوجد المسجد وهو مسجد قديم لا يزال يحتفظ بمعالمه وبهذا القصر توجد بناية عالية من طابقين تستعمل كمخزن تعرف باكري وهو المكان الذي استخدمه الشيخ المغيلي مخزنا للسلاح.

وعندما يتحدث المؤلف عن قصور الجهة الغربية ل تمنطيط يقول: " كانوا فيهم اولاد مولاي عبد الواحد بن الزويني الآن بهم تولاه واشتراه وديارا أيضا فيهم سيد أبي بكر العصنوني ويسمى بتهكل واشتهر بقصر سيدي سالم المهاجرين وبقي اجدير الآن مسكن الحراثين وخرب ماسوى ذلك ولم يبق منه الا المسجد"². ويقدم هنا وصفا دقيقا للقصور التي تقع في المدخل الغربي ل تمنطيط وتضم عدة قصور وقصبات ومسجد الشيخ العصموني الذي يوجد في تاهقة التي تحدها من الجهة الشمالية واحة النخيل ومن الجهات الثلاثة الغربية والجنوبية والشمالية احياء سكنية، ومن أبرز المعالم في هذه الجهة مسجد الشيخ سالم العصموني الذي بني

¹ Op.Cit ، J. C ، Echallier، p52

² نفسه، ص18

فوق مرتفع صخري وعن حالة هذا المعلم في الوقت الراهن فقد خرب ولم يبق منه إلا أسس الأسوار وبعض الآثار كالأعمدة والمئذنة المبنية من الحجارة.

وبالنسبة لأولاد مولاي عبد الواحد بن الزويني فقد عمروا هذه الجهة ومازالت اثار قصبتههم ومسجدهم موجودة في غرب تمنطيط حيث يتوسط مسجد القصبة التي تقع في وسط البساتين والتي تأخذ الشكل المربع ويحيطها سور خارجي عال. وأما تخطيط المسجد فصغير الحجم وشكله مستطيل ويوجد فيه محراب، كما تحد هذه المعالم كلها من الناحية الشمالية فقارة "تاغجم وت صالح".

ويتابع حديثه عن القبائل التي استوطنت وشيدت قصورها في تمنطيط فيقول: " تليه قصور اولاد داود بن عمر وكانوا اهل شماخة وانوفة وعزة ورياسة بنوا الحمام وضربوا السكة ولم يبق الآن منهم الا بقية ضعافا وقصورهم الآن هي قاعدة أسواق تمنطيط وبها الحدادون والنجارون والجزارون والدلالون والعطارون..."¹. وأولاد داود هو القصر الذي يقع إلى الجنوب الشرقي من قصر اولاد اعلي بن موسى تفصل بينهما زقاق اولاد داود. وقد شيد على مرتفع صخري ومعظم بيوته محفورة في الصخور ويوجد عند مدخله من الناحية الجنوبية رحبة السوق ويعد هذا المكان مركز النشاط التجاري حسب ما جاء في كلامه لأنه كان مكان تجمع مختلف الحرفيون والتجار وكانت تمر بهذه الساحة من الناحية الشرقية فقارة "تاغجم السوق".

¹ محمد الطيب عبد الرحيم، القول البسيط في أخبار تمنطيط، ص10

ويقول في موضع آخر: "وإما المهاجرة إلان المسمى غرم أقبور من قصور أولاد يحي لان بعضه من قصر أجدير ملاصقا به وهذا الجرم لأولاد يحي على كثرة قبائلهم وأولهم قصر أجدير وآخرهم أغلاد وهم متلاصقون قصرا في قصر وكل ذلك رجع جنة وبساتين ولم يبق منهم قصر إلا ديار قلائل"¹. الحديث هنا يدور حول قصر أغرم أقبور وهو امتداد لعدة قصور في الماضي الذي كانت تسكنه قبائل عديدة، غير أنها في الوقت الراهن اندثرت وأصبحت عبارة عن أطلال لم يبق منها شيء الكثير وزحفت عليها الرمال التي غطت معالمها والباقي أصبح بساتين وغابة للنخيل.

ويقول "فأما أولاد أعلي بن موسى هم الذين إرنا اليهم قبل أنهم نزلوا بقصر بوصلح وانتقلوا لقصبتهم التي كانوا فيها الآن أصل انتقالهم لتوات كان من بلاد السمغون"².

ويتابع حديثه عن أولاد أعلي بن موسى فيقول " قيل أنهم حذو البلاد بل بطرف البلاد في قصر أمكيد بأربعين فرس وقيل بسبعة فرسان وهو الصحيح يدل على ذلك جرم قصرهم ومسجدهم ، أما قصبتهم الأولى ففيها خمسة عشر دار وأما مسجدهم الأول ففيه خمسة صفوف وفي كل صف أربع اصطوانات، تم زيد بعد ذلك واتسع. وقصر القوم ومسجدهم يدل على عددهم عن قلة أو كثرة، لأن الناس لا تبنى إلا على قدر عددها غالبا فأحرى أنهم بنوا هذا بعد قوة وتمكن"³.

¹. نفسه، ص 13

². محمد الطيب عبد الرحيم، القول البسيط في أخبار تمنطيط، ص 15

³. محمد الطيب عبد الرحيم، القول البسيط في أخبار تمنطيط، ص 20

تعد قبيلة اولاد علي بن موسى من أهم القبائل التي انتقلت إلى تمنظيط ويرجع أصلهم إلى الأشراف الأدارسة الذين جاءوا من مدينة بوسمغون وكان عددهم عند مجيئهم إلى تمنظيط تسعة افراد.

وقد سكنت في البداية في بوصلح التي كانت كثيرة العمران حيث لا يزال ضريح جدهم الاولسي بايوسف موجودا إلى اليوم (انظر الشكل 3)، ثم انتقلت للعيش في قصور اولاد يعقوب وتايلوت وأخيرا إلى قصر اولاد اعلي بن موسى، وبعد مدة أصبح كبراء هذه القبيلة هم قادة تمنظيط.

وقاموا بتشييد قصبة اولاد اعلي بن موسى التي تقع في غرب تمنظيط وهي مربعة الشكل ولها سور عال وابراج ومدخل ومازالت هذه القصبة إلى الآن مأهولة بالسكان. وأما المسجد فيقع في الركن الشمالي الغربي للقصبة ويتم الدخول اليها بواسطة سلم وهو مستطيل الشكل ويضم بيت الصلاة من ثلاثة اساكيب وتسعة بلاطات في الأصل كانت تضم أربعة اساكيب. وأما العقود فهي نصف دائرية متجاوزة وترتكز على نظام الأعمدة الاسطوانية التي يبلغ قطرها 0.70م. فحجم بيت الصلاة وعدد الصفوف الصلاة تعطينا مقاربة للنسبة العامة لأفراد القبيلة التي كانت تقيم في القصبة.

كما لم يغفل المؤلف الحديث عن اولاد امحمد واولاد البركة وسيدي البكري الذي يقول عنهم: " وكذلك اولاد امحمد لم يبق منهم المذكورين (كذا) أحد بالبلد وقصرهم تولته المرابطون اولاد البركة السيد البكري المشهور بالعلم والفضل والصلاح..¹ ".

¹. نفسه، ص8

فأولاد سيد البكري معروفون في تمنطيط ينتسبون إلى بني مرين وقد سكنوا القصبة التي توجد في الجهة الشمالية إلى جوار المسجد العتيق الذي تهدم وبني بالقرب منه مسجد جديد وإلى جواره توجد الزاوية البكرية ومدرسة سيدي احمد ديدي¹، التي تقع في الناحية الشرقية وتوجد أيضا عدة مرافق أخرى كخلوة الشيخ، ومكتبة المخطوطات والأحياء السكنية (انظر الشكل 5).

الخاتمة:

نستخلص من هذه الدراسة التي تعقبنا فيها الاثار وال عمران القديم لتمنطيط من خلال مخطوط القول البسيط، أن الأخبار والأحداث التي ساقها الشيخ محمد الطيب بن الحاج عبد الرحيم في المخطوط تبين أن تمنطيط شهدت توافد قبائل وجماعات بشرية مختلفة استقرت وعمرت المكان خلال حقبة طويلة من الزمن.

وقد جاء مخطوط القول البسيط متضمنا الكثير من الأخبار السياسية والاجتماعية والاقتصادية التي مكنت من معرفة درجة التطور الحضاري الذي بلغته تمنطيط، بحيث اطلعنا عن استقرار بعض القبائل المهمة والمعروفة التي استوطنت تمنطيط، وأسهمت في تشكيل المجتمع وأن الكثير من تلك القبائل لا تزال عمارتها موجودة إلى اليوم. وقد شيدت كل واحدة منها قصبته الخاصة ومسجدها الخاص فتطور العمران وازدهرت

¹ هو احمد ديدي بن محمد العالم ولد بتمنطيط سنة 1299هـ الموافق ل1879م وحفظ القرآن على يد الشيخ الطالب محمد بن الطالب عبد الواحد واصل تعليمه بقر كوسام عند العالم الجليل عبد الله بن احمد البلبالي فاخذ عنه الفقه ، وقد تخرج علي يديه مجموعة من العلماء من بينهم الشيخ محمد بن الكبير. للاستزادة اكثر انظر النبذة في تاريخ توات، البكري عبد الحميد، ص174

الحركة العمرانية وتنوعت العناصر المعمارية والفنية في المنشآت في القصر.

ومجمل القول أن تخطيط تزخر بتراث عمراني متميز يعبر عن مدى التطور والرقى الذي وصلت اليه في العديد من النواحي الاقتصادية والاجتماعية والثقافية في تلك الفترة.

وأن حالة التهديم والاندثار والخراب الذي أصاب الكثير من معالم تخطيط تدعو إلى الإسراع في إنقاذها والتدخل للمحافظة عليها وحمايتها وترميمها.

المصادر والمراجع:

-الطبيب ، (عبد الرحيم)، القول البسيط في أخبار تمنطيط، نسخة كوسام للشيخ شاري
الطبيب

- الطاهيري، (أحمد)، نسيم النفحات في ذكر جوانب من أخبار توات ومن دفن فيها
من الاولياء والصالحين، نسخة موجود بزاوية تاسقاوت.

- ابن خلدون، (عبد الرحمان) ،العبر وديوان المبتدأ والخبر، المجلد السابع، دار
الكتاب اللبناني، بيروت، 1981.

- بلعالم ، (محمد باي)، الرحلة العلية إلى منطقة توات، ج1 ، دار هومة، 2005.

- البوعبدلي، (المهدي) ، الشيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي ، "اعمال المهرجان
الثقافي الاول للتعريف بتاريخ منطقة توات، ولاية ادرار 13-14 شعبان 1405هـ

03-04 ماي 1985م"، تحت اشراف المركز الوطني للدراسات التاريخية.

- شترة، (خير الدين)، الشيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي التلمساني المصلح الثائر
وفكره الاصلاحى في توات والسودان الغربى، ج2، دت.

- فرج ،(محمود فرج)، تحقيق مخطوط القول البسيط في أخبار تمنطيط، مكمل
لاطروحة دكتوراه الدرجة الثالثة في التاريخ تحت عنوان اقليم توات خلال القرنين
الثامن عشر والتاسع عشر الميلاديين ، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر،
1977م.

Villages désertiques et structures ، J. C، Echallier

1972.، Paris ،agaires anciennes

، Tamentit ، Oasis du Sahara Algérien ،J ،Vallet

1973. ،InstitutGéographique National: Paris

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ وَحَمْدُ اللَّهِ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ
 هَذَا تَأْلِيفُ الْبَيْهَقِيِّ فِي خَيْرِ قَضَائِهِ
 وَخَيْرِ مَا وَقَعَ فِي الزَّمَانِ وَمَا اشْتَمَلَتْ
 عَلَيْهِ مِنَ الْمَكَارِ وَالْعَالَمِ الْعَلَامَةِ
 لِسَيِّدِ مُحَمَّدٍ الطَّيِّبِ بْنِ الْحَاجِّ عَبْدِ الرَّحِيمِ
 لَصَفَ اللَّهُ بِهِ دَامِي
 الْحَمْدُ لَهُ الَّذِي جَعَلَ النَّاسَ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا
 لِتَفْخَرُوا وَجَعَلَ مَقَرَّ الْمَوْلَى مِنْهُمْ الْأُمُورَ لِأَنْ
 جَلَّ النَّاسُ يَتَسَبَّحُونَ لِبَلَدِهِمْ وَعَلَى ذَلِكَ تَقَارَفَتِ
 النَّاسُ وَتَوَارَدُوا وَكَانَتْ مَدِينَةُ تَمَنُّهِ قَاعًا عَدُوًّا
 فِي إقْلِيمِ تَوَاتٍ وَكَانَ عِلْمًا وَبَعَا فِي تَارِيخِ أَخْبَارِهَا
 قَدْ فَسَّرُوا وَذَلِكَ مِمَّا لَا يَنْبَغِي أَنْ يَعْمَلَ لَهَا فِيهِ مِنَ
 الْمُضْعَمَاتِ الَّتِي لَا يَنْبَغِي أَنْ يَعْمَلَ بِهَا وَالنَّاسُ قَدْ اسْتَجْبَرُوا
 وَقَدْ أَرَدَتْ أَنْ تُضَعَّ تَأْلِيفًا فِي مَا يُلْغَى مِنْ ذَلِكَ رَوَيْتُ
 لِيَكُونَ كَالْتَبَصُّرَةِ فِي ذَلِكَ لَمْ يَسْأَلُوا عَنْهُ وَاسْتَبْرَأُوا
 وَأَشْعَدُّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ شَعْدَاتُ
 أَخْرَجَ بَعْدَ الْيَوْمِ عِبُوسَ قَمَطَرٍ بِرِ عَسَى أَنْ يَكُونَ
 بَعْدَ مِمَّا اسْتَبَشَرُوا وَمِمَّا يَجْرَمُ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى جَنَّةً
 وَحَرِيرًا بِمَا صَبَرُوا وَأَشْعَدُّ أَنْ سَيِّدَنَا مُحَمَّدٌ عَبْدُهُ

الشكل 1: الورقة الأولى من مخطوط القول البسيط في أخبار تمنطيط

نسخة كوسام (الناسخ الشيخ شاري الطيب)



شكل 2: مدخل قصر اولاد اهماليشكل 3: ضريح سي بايوسف



شكل 4: برج في قصبة اولاد امحمدشكل 5: شارع داخل النسيج المعماري
لتنظيف